مستجدات نظرية ومنهجية في اعداد البحوث والدراسات السوسيولوجية.

Theoretical and methodological updates in preparing sociological researches and studies

العرباوي ليلى [1،*]

[1]جامعة 20 أوت 1955،سكيكدة،larbaoui.leila@gmail.

تاريخ الاستلام : 2024-01-12؛ تاريخ القبول : 2024-04-01

الملخص :

لا يستقر أي علم على حقائق نهائية فهو نتاج رحلة بحث مستمرة وملأى بالمفاجآت والتقلبات والتقاطعات والانقطاعات فقد يقطع باحث مع منظر أو مدرسة تنظيرية ليربط مع سواها متراجعا عن اختيارات أوسالكا وجهة أخرى. لذا لا استقرار في العلم ومن النماذج التي تحضرنا ألان توران الذي عرفت نظريته صيرورة من الفعلوية الى الفرد بعدما خاب ظنه في الفعل الجمعي. من ثمة تروم هذه المداخلة التنبيه الى بعض التطورات التي طالت علم الاجتماع تنظيرا ومنهجا والايحاء بأن المنهجية البحثية ليست أقنوما متكلسا يتم توريثه بين مريدين، بل سيرورة بحث وتنقيب مستمرة تعد دوما بالجديد.لذا آل هذا المقام على نفسه الإشارة والتنبيه الى بعضها مع ترك الأقواس والنهايات مفتوحة دوما.

الكلمات المفتاحية : العلم-البحث- علم الاجتماع-النظرية-المنهج.

Abstract :

There is no science that knows or acknowledges stability within itself or adopts eternal truths, for it is the product of a long journey full of surprises, reversals, imbrications and, of course, breaches. The researcher can break up with a theorist or a school of thought to tie up with another ignoring some choices or taking another path. That is why stability does not exist in science and for example Alain Touraine whose theory is becoming from actionalism to the individual, marking by the same his disappointment with collective action. This intervention, therefore, aims to draw attention to some developments that have affected sociology in terms of theorization and methodology.

Keywords : Science-research-sociology-Theory-Method.

المؤلف المراسل

مقدمة:

يتحدث بيار بورديو عن العلم وهو يصنعLa science en se faisant

إشارة الى أن حصة الاكتشاف وتغيير المسارات وتصحيحها أمر واجب فلا وجود لممارسة علمية جاهزة ومنتهية وبدلالة وجود النقد والقيام بنفس العمل بأوجه أخرى.

ان تغير الهيئة الذهنية في التعامل مع البحث العلمي يدشن مسارات علمية جديدة قد تخلق القطيعة مع الممارسات السابقة وتخطئها أو تصححها. وهو ما يأخذ بمنطقي التطور العلمي كما هو موجود في الحقل التراكم والقطيعة. وبكون العلم ليس جامدا أو متكلسا وأن مسائله محل نقاش وتناقض بين المشتغلين فيه وبالتالي تتطور الرؤى والمواقف حيالها،واستجابة لما سبق تتطرق هذه المداخلة الى مواطن التجديد في البحث السوسيولوجي.

1-المستجدات المعرفية النظرية:

1.1-الحس المشترك: يعاني علم الاجتماع من متلازمة الحس المشترك كبقية العلوم الاجتماعية والإنسانية التي يكون الانسان فيها ذاتا عارفة وموضوع معرفة. ان انخراط الانسان في الاجتماعي كعضو وفاعل يجعل وضعه كباحث حساسا ومريبا فيدرس موضوعا هو طرف فيه أو موضوعا هو معاد له وفي كلتا الحالتين يتماهى معه وقد يصيب ذلك مفرزاته بالانحراف عن جادة البحث العلمي وقواعده الموضوعة أصلا لحمايته من الانحيازات المختلفة.لذلك تضع كل من الابستيمولوجيا والمنهجية نصب أعينهما عدم جاهزية الموضوع العلمي وحاجته الماسة للبناء حتى لا تتساوى المعرفة العلمية والمعرفة العامية التي تكون أولا وأخيرا قاصرة، موجهة ومصلحية.لذلك اعتقاد الباحث خصيصا المبتديء أنه يكفي جمع الملاحظات والأرقام وآراء المبحوثين لبناء الحقيقة هو رأي مجانب للصواب حد الضلالة على خلفية أن الحس المشترك من الأدخنة الكثيفة التي تخفي الحقائق العلمية.لهذا من الشرعي والطبيعي أن نتساءل حول هيأة الطمأنينة المريبة التي تطغى على الباحثين لديناوالذين يعرفون الإجابات مسبقا لاحتكامهم للحس العام ويبدو لهم الحديث عن القطيعة مجرد فقرة للحفظ ليلة الامتحان بعيدا عن أية نية للممارسة.

2.1 -الفرق بين الاجتماعي والسوسيولوجي:

نادرا ما يتفطن في الممارسة البحثية في الحدود العربية الى مسألة تقيم ظهر البحث العلمي أو تقسمه

ألا وهي رسم الحدود بين مفهومين تلعب الترجمة بحدودهما وتدغمهما خطأ وهما الاجتماعي والسوسيولوجي ويعتبر هذا التفريق الضامن لعدم خلط الأمور وعدم تمييع الدائرتين المتمايزتين حتما، رغم تجاورهما وتداخلهما على مستوى الممارسة البحثية، لما يتحول الاجتماعي الى موضوع دراسة للسوسيولوجي. وهذا لربما ما يفسر أن الطلبة لدينا وحتى على درجات عليا من التحصيل العلمي يقعون في هذا المطب فينجزون أطروحات نتائجها معروفة مسبقا. ان الدخول الى حقل علم الاجتماع وهو شأن كل علم يحتاج الى دفع رسوم والا تساوت المعرفة العلمية بالمعرفة العامية كما غامرت الاثنوميتودولوجيا الى ذلك ولاقت مقاومة مستشرية أبقتها مشروعا طرفيا. فمن الملاحظ أن الممارسة البحثية لدينا قلما

تتجاوز الاجتماعي بل وتسوقه لا كموضوع دراسة وانما كحقيقة جراء الاستخفاف بأدوات البحث وأخلاقياته من قطيعة ونقد.

3.1-الذاتي والموضوعي والموضعة [1]:

صحيح أن علماء الاجتماع وضعوا سكة حراسة أو سياجا واقيا للحيلولة دون استسهال الجمع بين العلم وموضوعه تحت مسمى واحد أو ترادف لذلك سال الكثير من الحبر في توضيح مسألة الحدود بين الذاتية والموضوعية ودوركايم مرجع قوي في هذا الباب في "قواعد المنهج" بفكرة شيئية الظاهرة الاجتماعية.

غير أن الدوركايميين لم يبقوا ماسكي زمام المنهجية السوسيولوجية بمفردهم بل انبثقت مقاربات مغايرة وغير منتظرة لصرامة اللهجة الدوركايمية التي وللصراحة لم تكن لتشجع بروز رؤى خارج رؤيتها باسم حماية العلم الوليد من تسرب الممارسات القبلية له من أدب وتفكير اجتماعي وحس عالم، لذا مال جل الباحثين الى المنهجية الدوركايمية أوفياء له وللحظة إرساء قواعده العلمية وفق قواعد اللعبة زمن التأسيس، وهو زمن منطبع بسيطرة قصوى للعلم الطبيعي. إذا كان لا بد من النسج على منواله والا لم يقبل من لدن المجتمع العلمي وينتهي به الأمر مطرودا خارج الدائرة العلمية. وهي مساءلة مازالت في واقع الحال تستثير علم الاجتماع، اذ ماتفتأ تتردد مساءلة علميته بدافع ايديولوجي سيء النية في كثير من الأحايين نظرا لعدم استكانته في النبش في الموضوعات المزعجة لاسيما في الدول ذات التقاليد السوسيولوجية العريقة. ولأن البحث والسؤال لا يهدنان ولا يهدآن فان مسألة الموضوعية تفرعت الى مناحي جديدة شتى كالمنحى الذي نحاه بورديو والبورديوين في عدم البتر مع الذاتية وانما مراقبتها بتوجيه أدوات النقد لها في ردة فعل انعكاسية وذلك حتى لايبقى الباحث خارج اللعبة أو بعبارة جلية خارج نطاق مرمى السهام النقدية،وهو ما يطلق عليه هذا الفريق الموضعة objectivation،سيما وأن الباحث غير منفصل عن أرضيته البحثية.وهي فكرة تدين بجذورها لفيبر الذي اجتهد في الفصل بين القيم والعلاقة مع القيم.

4.1- الملاحظة في الموقع:Observation in situ

أو بتسمية أخرى في عين المكان وهي ا لملاحظة الي تقوم على ملاحظة الفاعل في وسطه الطبيعي وجمع المعلومات المتعلقة بعاداته وسلوكاته وتفاعلاته بمعنى ملاحظة الأفعال الفعلية وتحليل بيئته ونشاطه لأجل بناء الفرضيات البحثية مثلا.وهي تقنية أقر بوردو ذاته بممارستها أثناء تنقلاته كرجل عاد ولكن لا ينسى الموضوعات الشاغلة له خاصة وأن الحياة اليومية منهل للوقائع الاجتماعية في محيطها الطبيعي.

ومن تقنياتها:

- وضع كاميرات لمراقبة السلوكات والتفاعلات.
- الولوج الى عالم المبحوث دون أن نجعله يلاحظنا.
- السياقية: وهي تقوم على سؤال المبحوث في وسطه الطبيعي أو في سياق عاداته ونشاطاته وممارساته.

– العون المخفي: يتنكر الباحث لا الا يعرف دون اشعار المبحوث بأنه موضوع ملاحظة.[2]

5.1–النظرية والمقاربة والمنسق:

سار علماء الاجتماع الأوائل على طريق التنظير بهدف تكوين نظرية مفسرة للاجتماعي،تقدم للقارئ والمختص مجمل اختياراتهم المفاهيمية والابستيمولوجية والمنهجية. غير أن حمى بناء نظرية شاملة تعرضت للكبح تحت وطأة النقد انطلاقا من فكرة محورية مفادها كون الاجتماعي أوسع من كل نظرية تحاول محاصرته ورسم مع موت أوترسيم معالمه. خاصة،

كما ينحو اليه جان J.F.Leyotard ، موت الحكايات الكبرى La mort des grands récits [3].

فرانسوا ليوتار

واستقواءا بهذه الفكرة ذهب البعض الى تفضيل مفاهيم أخرى على النظرية ونحوا نحو مثلا المقاربة والمنسق. وهي مفاهيم تكشف نوايا واضعيها في التعامل مع علم الاجتماع من مناظير متواضعة أكثر، ونسبية أكثر. فالنسبية العلمية التي ثورت المعرفة العلمية الطبيعية لم تبق العلوم الاجتماعية والإنسانية بعيدة وغير حساسة والحال هذه، توحي بعدم الحسم النهائي مع الظاهرة كتلمس طريق نحوها ومحاولة ; لانقلاب المسار. فالمقاربة، الإحاطة بها من جوانب متعددة لتشابك الظاهرة وهو فصل وتفصيل فيها منذ كتاب قواعد المنهج لدوركايم كلحظة تأسيسية.

أما في الجانب الثاني فالمنسق، (ويدعى بالموازاة نموذجا وكذا مدخلا)، يقف في آخر مرتبة معبرا عن جملة الاختيارات النظرية والمنهجية بما في ذلك حزمة العدة والأدوات التي يختارها الباحث ويتخيرها للبث بحثيا في دراسته. وكما يتبدى لنا فهو أكثرا تواضعا من النظرية والمقاربة ولتقريب أكبر للصورة للأذهان نتحدث قبالة المنهج عن بروتوكول بحثي دون ادعاءات نظرية كبيرة. وهذا بالذات السبيل الذي بات ممارسا ويستقطب الباحثين في ظل انكماش التوجه النظري الذي عهدناه زمن الآباء المؤسسين وبعض ممن لحقوا بهم.

6.1–الماكرو والميكرو أو سلالم الدراسة:

ينقسم الباحثون تجاه هذا المعطى الى جماعات وقبائل، يفضل بعضها البحث على سلم كبير

وهي الدراسات الكليانية: (holisme)

والبعض الآخر يسعى خلف الدراسات ا لذرية أو المجهرية المركزة على الفرد أو وضعية ما أو تفاعل، الخ. ان هذا التشتت الذي ينم عن اختلاف تناقضي في النظر وتقدير الحقيقة السوسيولوجية الى تناقض رؤية وتصور المجتمع موضوع الدراسة.

فالباحثون الباحثون عن بناء نظرية اجتماعية يطاردون الأنساق العامة والبنى التي يسلطون عليها النظر غير ملتفتين للذرات الاجتماعية من أفعال ووضعيات وتفاعلات وسياقاتها. وهذا لب الخلاف. وبالتالي تأتي

مفاهيمهم في انسجام وتناسق مع اختياراتهم تلك. مع تغليب ممارساتيا المنحى المجهري لاستعصاء البحث على الكليات من طرف باحثين مبتدئين أو حتى منفردين.

7.1- البيتخصصاتية وأخواتها:

بعد ما ذاد علماء الاجتماع الأوائل عن حياض العلم الجديد وبعد لأي طويل، في حماية حدوده طلع علينا باحثون هم أيضا أصحاب شرعية الانتماء للحقل للمناداة بفتح الحدود للعمل في تعاون ضيق مع تخصصات أخرى.

الفرق بين:

Interdisciplinarité: ما بين التخصصات أي وضع علمين أو أكثر في علاقة لتفسير ظاهرة ما.

: داخل التخصصات أي البحث وتوظيف العلاقات المتشابكة داخل نفس التخصص.

Intradisciplinarité

Pluridisciplinarité: تعدد التخصصات أي اللجوء الى علوم مختلفة وكأنها متجاورة دون تداخل.

multidisciplinarité :كثرة التخصصات،

أي اللجوء الى الاستعانة بأكثر من تخصص لمعالجة الموضوع مع احتفاظ كل منها بخصوصيته.

Transdisciplinarité: عابرة للتخصصات أي

مناقشة المواضيع مع رفض التخصصات ما يدفع أنصارها لبناء منهج عام لا يعترف بالحدود بين التخصصات.[4]

(Lepine)

غير أن الثابث في الأمر أن علم الاجتماع بعد ترسيم حدوده مع العلوم الأخرى لابراز هويته المستقلة، اتجه منذ فترة الى الانفتاح على التخصصات الأخرى ايمانا منه بأن الظاهرة الاجتماعية متشابكة ومتعددة الأوجه والمظاهر ولا يستقيم الأمر مع تخصيص علم واحد لدراستها لأن في ذلك اسكات وحجب لأوجهها وواجهاتها الأخرى.

2.المستجدات المنهجية:

1.2- بناء الموضوع:

من نافلة القول أن موضوع البحث عكس ما يعتقد الكثيرون ليس معطى ولا معطى جاهزا بل هو بحاجة الى بناء وإعادة تشكيل بما يتوافق والممارسة البحثية الحقة وفق أصولها المتعارف عليها داخل الوسط العلمي. بمعنى لا نكتفي بحمل موضوع والزج به في دائرة الاهتمام دون اخضاعه للبروتوكولات العلمية السائدة بدءا من نقطة البداية وهي طرح السؤال الاشكالي الذي لا يقود الى المعرفة السائدة والا نكون قد أنفقنا جهدا ووقتا دون جدوى.

ان البحث العلمي مغامرة علمية تحتاج الى تقنين وتسلح واكتشاف والا لا فائدة ترجى منه.

لما يصل ويتوصل دوركا يم الى أن الجريمة ضرورية للحمة المجتمع وتقوية القوانين وبورديو أن المدرسة الفرنسية ليست ديموقراطية ولا تشتغل وفق قوانين الجمهورية كما يعلن الشعار وهو مجرد ادعاء وأن العولمة ليبرالية جديدة وغيدنز أن هنالك إمكانية طريق ثالث بين الرأسمالية والاشتراكية القاسم المشترك بينهم انهم جميعا يسبحون ضد التيار. فلو ارتكنوا الى المعرفة السائدة وشقوا طريقهم فيها لما ذكرهم التاريخ العام وتاريخ الأفكار ولما داموا واستداموا.ولعل كتاب بورديو وشومبرودون الموسوم ب "مهنة عالم الاجتماع" من الكتب المفتاحية في التطرق لفكرة بناء الموضوع والسعي لتعبيد الطريق نحو ذلك المرمى ومرافقة الباحثين اليه.

2.2-الادغام بين الفصل الاشكالي والنظري:

درجت منهجية البحوث في العقود الأخيرة على اختيار طريق جديد في كتابة وتحرير الرسائل معتمدا على تخصيص فصل واحد ومدغم لأسباب اختيار الموضوع والاشكالية المبنية حول سؤال مركزي واضح وللاختيارات النظرية والمنهجية ثم يأتي فصل عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها بعده. ما يقدم تصميما جديدا للرسائل العلمية. وهي محاولة لتجاوز التقسيم الواضح بين الفصلين النظري والامبريقي مع التشجيع على توظيف النظري في التعليق والمقارنة وقراءة النتائج المتوصل اليها من الميدان.

3.2-الأسئلة والفرضيات:

كثيرا ما يخطئ الطلبة في استعمال الأسئلة والفرضيات وهذا راجع لضبابية الرؤية وعدم معرفة نوع الدراسة المعتمدة، فالدراسة الاستكشافية التي يتعامل فيها الباحث مع الموضوع لأول مرة لا تحتاج لفرضيات لأن هذه الأخيرة تأتي تتويجا لمسار بحثي طويل في الموضوع ترك وراءه الدراسة الاستكشافية التي تساهم في بناء الموضوع واختيار أدواته.

4.2-عودة قوية للمناهج الكيفية:

سار علم الاجتماع مطولا على تبني المناهج الكمية منتظرا منها فائدتين مرجوتين الأولى ضمان العلمية والثانية دقة النتائج بهدف التعميم على خطى العلم الطبيعي.

ولقد فتحت مدرسة شيكاغو* هذا الباب منذ مطلع القرن العشرين محققة تقدما ملحوظا على دروب المناهج الكيفية، رادة الاعتبار لها، مراهنة على كثافة المعطيات والمعلومات التي تتيحها كدراسة نطاق ضيق يستعاض فيه والكثافة كما يدافع عنها الأنثروبولوجي الأمريكي كليفورد غيرتز Clifford Geertzعن الضيق بالعمق

5.2- المقابلة الجماعية :Focus group

تعتبر المقابلة الجماعية أحيانا منهجا وأحيانا تقنية تنتمي للمناهج الكيفية

دخلت حقل العلوم الاجتماعية نتيجة انفتاحها على التسويق فتم اقتباس المقابلة الجماعية التي كانت توظف كحجة بيع وجس نبض اتجاهات الزبائن نحو المنتوجات معتمدة على الآليات النفسية من تقليد ومحاكاة لخلق موجة شراء لدى الزبائن من خلال دينامية الجماعة. وكذلك استقاء رأي الزبائن في المنتجات لتطويرها. الا انها تعتمد على مجموعات ضيقة وتتيح الحصول على معلومات ومعطيات سريعة خاصة فيما له علاقة بالآراء والتمثلات والقيم والانتظارات وكذا الذكريات الا أنها تتكامل مع المقابلات الفردية ولا تلغيها. ولربما تكتسي أهميتها القصوى في البحوث الاستطلاعية لتصويب الدراسة فيما بعد كإعداد الاستمارة على سبيل المثال. ولنجاح تطبيقها يستدعي الأمر بعض الاحترازات من شاكلة عدم اكتظاظ الجماعة (8-12 فردا) وعدم الاكتفاء بمجموعة واحدة (الوصول الى ثلاثة مثالي) لمدة تتراوح بين ساعتين الى ثلاث ساعات مع الحرص على تنويع الأفراد لخلق اختلاف يبرز مواقف أكثر[5] (Evans,2011,pp93-98).

ان هذه التقنية ذات محاسن كثيرة نذكر منها تصحيح المبحوثين لبعضهم بعضا لا سيما في الموضوعات التي تستدعي الذاكرة أو تكشف عن اختلاف المواقف داخل نفس المجموعة.

6.2-السجل الاثنوغرافي:

يدعى أيضا في اللغة العلمية الدفتر الميداني أو دفتر الميدان وهو حصيلة مد علم الاجتماع جسور الاقتباس مع الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا والاثنوغرافيا بتبني هذه التقنية. التي تعد أداة بحث وتقص ظهرت في إطار البحوث الاثنوغرافية والأنثروبولوجية عموما، كأداة ميدانية يسجل فيها الباحث رؤوس أقلامه وملاحظاته والتي تتحول الى معين على التأويل والتحليل وضبط صورة عن وجوده في الميدان ويراقب بواسطتها التزامه بالحياد ودرجة تورطه فيه أو انحيازه لأنه بالمحصلة يدخل في الميدان وبه في علاقة تفاعل إنسانية. وبعبارة مغايرة يقيس بها تأثير وجوده في الميدان ومراقبة حالته النفسية ومواقفه وتفاعلاته.

كما يسمح للباحث "بفهم ملكته وخطاطاته الاجتماعية ليموضع علاقته مع الموضوع أثناء تواجده في الميدان وأثناء تأويله المعطيات"[6].(Pascale Argod,2022)

اذ لا نغفل مطلقا أن الباحث كائن اجتماعي مموقع اجتماعيا وله رؤيته للعالم ولكن لديه أيضا شبكة قراءة علمية وهو مجبر على قياس المسافة بينهما ليكتشف عدم تداخلهما وبالتالي يوفر السجل الاثنوغرافي للباحث فرصة التساؤل ومساءلة حياده. اذ يضم المعطيات المجمعة من الميدان في حالتها الخام. كممارسة لاثنولوجيا القريب أو أنثروبولوجيا اليومي.

ومن مهام هذا الدفتر أيضا هو بناء الميدان بحيث يسمح للباحث بترتيب أولوياته وإعادة تصويب أهدافه ووسائله.

7.2-المنهج الاثنوغرافي:

فتح علم الاجتماع بابه للمنهج الاثنوغرافي كمنهج كيفي تطور كثيرا في العشريات القليلة الماضية بحكم التطورات الحادثة في تركيبة المجتمعات واختفاء جل الشعوب البدائية الا اليسير منها أمام زحف الحضارة الغربية والعولمة فاضطرت الاثنوغرافيا الى تغيير جمهورها والذي يعبر عنه لدى أهل الاختصاص بنهاية العوالم العجائبية، على المدينة وهو الاجراء المدعو أنثروبولوجيا القريب. [7] Anthropologie du procheمتوجهة للعمل والمجتمعات المعاصرة

(Alain Marchive,2012,pp7-14)

يتورط الباحث في ميدان الدراسة بتحوله الى شخص موجود فيه ومقبول أو غير مرحب به من طرف المبحوثين. علما أن مسألة قبوله ليست بالقضية المحسومة مسبقا بل يتوجب عليه أن يفاوض من أجلها. غير أن خيبة الأمل قد تكون في الموعد أو واسعة لما لا ترتقي الملاحظات الى ما كان منتظرا من الباحث أو يدعى من ا لميدان الى درجة لا يتمكن معها تدوين الملاحظات أو (Pian,2023)طرف المبحوثين لمزيد من التورط في رؤوس الأقلام.[8]

8.2-النزعة الانعكاسية:

درجت ثلة من الباحثين على التنبيه الى ضرورة النزعة الانعكاسية في البحث كإجراء منهجي يطبقه الباحث على عمله بوصفه جزء من المسار البحثي، أي مضيا بالموضوعية الى منتهاها يخضع عمله ونفسه للنقد بواسطة الأدوات العلمية لأنه ليس خارج اللعبة.

Science deومن أبرز من دعا اليها بورديو وغيدنز غير أن بورديو لم يكتف بالتوجيه اليها بل تحدث عنها في كتابه la science et réflexivité

وطبقها على مساره في كتابه الأخير والذي صدر بعد وفاته "خطاطة لتحليل ذاتي".

Esquisse pour une auto-analyse

وفي هذا السياق يؤكد بورديو على أن لعلم الاجتماع القدرة على تفكير نفسه وتفكير علميته.[9]

(Bourdieu,1992,p34)

فالباحث لا يوجد خارج اللعبة ومن الطبيعي أن يطبق على نفسه قواعدها فهو مثله مثل الأعوان الاجتماعيين يملك ملكة بوصفها خطاطات عقلية وجسدية وادراكية لتقييم العالم. [01]

(Bourdieu 1992, p24)

وهكذا تسمح التفكيرية "لعلماء الاجتماع الهروب من ظروف انتاجهم العلمي لأنه انتاج كأي انتاج آخر شرط التسلح بمعرفة الحتميات الاجتماعية وخاصة التحليل العلمي لكل الاكراهات المرتبطة بموقع أو مسار الباحث في حقل البحث من أجل السيطرة والتحكم وإيقاف تأثيراتها." [11]

(Bourdieu,2022,p.57)

ولن يتحقق ذلك الا بممارسة الموضعةObjectivation

على هيئة احتراز ابيستيمولوجي يحلل الذات أي المحلل والعالم الذي (Bourdieu, 2022, p.55)[21] ينضوي تحته.

وهي ممارسة أكثر عدالة بحيث لا تستثني من العملية التحليلية الباحث الذي يبقى أولا وأخيرا جزءا من النسيج الاجتماعي الذي يشتغل عليه لتكتمل وظيفة العلم في فهم كل أطراف الواقع وأبعاده.

9.2-الذهاب والإياب بين النظري والميدان:

غالبا ما يحدد الباحث المبتدئ علاقة محدودة زمنيا مع الميدان وكثيرا ما تكون قبيل انتهاء الموضوع بقليل وهذا بحد ذاته مدعاة للخطأ. لأن تلك العلاقة يفترض فيها أن تكون مستمرة ومتواجدة في أكثر من محطة من محطات البحث. في البداية لجمع المعلومات الأولية وبعدها وبعد تحور الرؤية تحت وقع القراءات النظرية ثم لإجراء الدراسة النهائية وتطبيق الأدوات البحثية. ان التوفيق في التعامل مع الميدان علامة من علامات نجاح البحث وقيمة مضافة تحسب له. لذا لا مناص من إعادة ضبط العلاقة مع الميدان وجعلها ذهابا وإيابا بين القراءات والمجال الامبريقي والا استحال الأمر الى جولات سياحية منزوعة الجدوى واستعراضية.

10.2-المنهج البيوغرافي:

أو منهج السيرة وهو واحد من المناهج الكيفية الذي أخذ في الانتشار منذ نجاح استخدامه من طرف رواد مدرسة شيكاغو التي دشنت عهدا جديدا في إطار التقاليد المنهجية معيدة

التبجيل للمروي أو الشفوي كشهادات حية على المعيوشLe vécu

حيث وبعد سيطرة محكمة لعقود من لدن المناهج الكمية والتي مازالت تحكم قبضتها على البحث في الجامعة الجزائرية والعربية، بدأت المناهج الكيفية في البروز رغم الاحتشام الذي يراودها وتصطبغ به تحت وطأة البحوث العالمية من جهة والانتقادات الجادة التي توجه الى النزعة الكمية في كل ما يتعلق بالإنسان. وعليه شق المنهج البيوغرافي طريقه الى التوظيف البحثي على قلته.

ومن رواده كما هو معلوم توماس وزنانييكي مع الفلاح البولوني وكليفورد شو مع قصة فتى منحرف، وهو يتفرع الى عدة فروع نذكر منها :

قصة الحياة، المقابلات ...Histoire de vie, story life, entretiens biographiques

البيوغرافية،المذكرات،كراس اليوميات، قصة الحياة الشفوية، الترجمة والسيرة الذاتية..

علاوة على أنه منهج يعمل على إعطاء الكلمة للأشخاص بحكم أن التقنيات البحثية الأخرى لا تفعل ذلك. [31]

(Pineau, Legrand,2013)

بل وهنالك من يذهب الى اعتباره تكريس لممارسة ديموقراطية تسلط الضوء على كلمة المبحوث أيضا.

11.2-المنهج المختلط:

اهتدى الباحثون المختصون في صنوف المنهجية الى طريق منهجي ثالث يضع حدا للخصومة ذات التاريخ القديم أطلقوا عليه تسمية المنهج المختلط

Méthode mixte ,Mixed method بين أنصار المنهج الكمي وأنصار المنهج الكيفي، وهو ما يذهب اليه أصحاب المناهج الكمية من أنها تقدم ضمانات للعلمية بكل مقاييسها من ترييض وموضوعية وصرامة وإمكانية التحقق من النتائج. أما الطرف الآخر فيؤكد أصحابه على أن الرقم ليس ضمان علمية وأنه يمكن أن يخفي حقائق ويجهز على حيوية موضوع الدراسة وبالتالي الحل الخيار الأفضل التوجه نحو المناهج الكيفية التي على النقيض تحلل في العمق وتحفظ دينامية الواقع الاجتماعي. وبين هذا وذاك يتفرق الباحثون الى أن جاء اقتراح الطريق الثالث المتمثل في المنهج المختلط، وكما يشير اليه الاسم هو منهج يخلط بين المنهجين الكمي والكيفي يروم تحقيق الاستكشاف والتفسير أو كليهما. ولقليل من التأريخ، فلقد رأى النور على يد اجتماعيين قدامى مثل دراسات فريدريك لوبلاي حول الفقر في خمسينات القرن 19.وهو اجراء يستند الى ضم معطيات كيفية وكمية في نفس البحث لأجل فهم جيد لموضوع البحث. [41]

(Anadón,2019)

وما يحفز على هذا الدمج النقاشات العقيمة التي صبغت الحقل البحثي لأحقاب طويلة ومن ثمة جاء هذا المنظور كحل منقذ فعلا ومذخر للجهد.

خاتمة:

تثبت الممارسة البحثية مرة أخرى عدم جمودها وانفتاحها دوما على الجديد جراء تعديل الأخطاء أو الاقتباس من المفكرين الآخرين والعلوم الأخرى، سواء على مستوى النظريات أو نظرية معرفتها أو المنهج أو حتى الاحتكاك بالميدان. مع توجهها الواضح في الآونة الأخيرة نحو المناهج الكيفية المصاحبة للتنازل عن النظريات العامة والشاملة بالتركيز على الأفراد والوضعيات التي يمكن للباحث التحكم فيها أو ما يصطلح على تسميته في اللغة المختصة الدراسات الميكروسوسيولوجية أو المجهرية التي لاقت صدى كبيرا وانكبت على تجديد وتطوير تقنيات البحث.

المراجع:

1. تنتمي الموضعة الى المعجم البورديوي الذي يبرز الاختيارات المعرفية والمنهجية الخاصة بعالم الاجتماع الفرنسي والتي أدت الى تجاوز الإشكالات العقيمة في التفرقة والتضاد بين الذاتية والموضوعية على أساس أن الموضعة تؤلف بينهما وتقحم الباحث في التفكير الانعكاسي.

2. https://www.altics.fr/nos-expertises/etude-utilisateur/observation-in-situ/

3. Jean-François Lyotard, La condition postmoderne, Paris, Les éditions de minuit, 1979.

4. Martin, Lepine. Inter, trans, multi, pluri ou intradisciplinarité? in www.usherbrooke.ca/litt-et-maths/fondements/inter-trans-multi-pluri-ou-intradisciplinairite/Consulté le 12 Avril2022.

5. Christophe, Evans (dir). (2011).Les groupes de discussion ou focus groups in Mener l'enquête, Presses de l'enssib.pp93-98. In : Mener l'enquête : Guide des études de publics en bibliothèque [en ligne]. Villeurbanne : Presses de l'enssib, 2011 (généré le 04 décembre 2023). Disponible sur Internet : . ISBN : 9782375460351. DOI : https://doi.org/10.4000/books.pressesenssib.581.Consulté le 15 Décembre 2023.

6. Pascale, Argot. (2022). Le carnet de recherche et de terrain à l'université in https://cdevoyage.hypotheses.org/author/cdevoyage/page/3.Consulté le30 Décembre 2022.

7. Alain Marchive.(2012). Introduction. Les pratiques de l'enquête ethnographique Dans Les **Sciences de l'éducation** - Pour l'Ère nouvelle 2012/4 (Vol. 45), pages 7 à 14.https : //doi.org/10.3917/lsdle.454.0007.Consulté le23 juin2022.

8. Anaïk Pian, « Légitimité de la recherche, légitimité du chercheur. Ce que la négociation de la rencontre ethnographique en milieu hospitalier dit de la politisation de l'intime », **Recherches sociologiques et anthropologiques** [En ligne], 54-1 | 2023, mis en ligne le 10 octobre 2023, consulté le 12 janvier 2024. URL : http://journals.openedition.org/rsa/5905 ; DOI : https://doi.org/10.4000/rsa.5905

9. Pierre, Bourdieu.(1992,2004),).Esquisse pour une auto-analyse. Paris : Éditions Raisons, d'Agir coll. « Cours et travaux ». p34.

10. Ibid. P.24.

11. Pierre, Bourdieu. (2022). Retour sur la réflexivité, textes réunis et présentés par Jérôme Bourdieu et Johan Heilbron, Paris : Ed de l'Ehess.P.57

12. Ibid.P. 55.

13. Voir : Gaston Pineau, Jean-Louis Legrand.(2013). Les histoires de vie, 5 ème éd. Paris : Puf.

14. Anadón, M. (2006). Les méthodes mixtes : implications pour la recherche « dite » qualitative **RECHERCHES QUALITATIVES** – Vol. 38(1), pp. 105-123. LA RECHERCHE QUALITATIVE AUJOURD'HUI. 30 ANS DE DIFFUSION ET DE RÉFLEXION ISSN 1715-8702 - https://www.erudit.org/fr/revues/rechqual/2019-v38-n1-rechqual04566/1059650ar.pdf.Consulté le02 janvier2024.